

## الداء والدواء

### اللقاء الخامس عشر

#### ﴿فَصَلِّ الْمَعْصِيَةَ تَجْعَلُ صَاحِبَهَا مِنَ السَّفَلَةِ﴾

﴿٣١﴾ وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَمَّا تَجْعَلُ صَاحِبَهَا مِنَ السَّفَلَةِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُهَيِّئًا لِأَنْ يَكُونَ مِنَ الْعَلِيَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ قِسْمَيْنِ: عَلَيْهِ، وَسَفَلَةً، وَجَعَلَ عَلِيَّيْنِ مُسْتَقَرَّ الْعَلِيَّةِ، وَأَسْفَلَ سَافِلِينَ مُسْتَقَرَّ السَّفَلَةِ، وَجَعَلَ أَهْلَ طَاعَتِهِ الْأَعْلَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَهْلَ مَعْصِيَتِهِ الْأَسْفَلِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا جَعَلَ أَهْلَ طَاعَتِهِ أَكْرَمَ خَلْقِهِ عَلَيْهِ، وَأَهْلَ مَعْصِيَتِهِ أَهْوَنَ خَلْفِهِ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ الْعِرَّةَ هُوْلَاءَ، وَالذَّلَّةَ وَالصَّعَارَ هُوْلَاءَ، كَمَا فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُحْمِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّعَارُ عَلَيَّ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي».

﴿٣٢﴾ وَقَوْلُهُ: "وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّعَارُ" وَهُوَ التَّحْقِيرُ "عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي"؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعِرَّةَ لِلَّهِ وَلرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمَنْ اتَّبَعَهُ، فَمَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ضُرِبَ بِالذُّلِّ وَالتَّحْقِيرِ.

﴿٣٣﴾ فَكُلَّمَا عَمِلَ الْعَبْدُ مَعْصِيَةً نَزَلَ إِلَى أَسْفَلٍ، دَرَجَةً، وَلَا يَزَالُ فِي نُزُولٍ حَتَّى يَكُونَ مِنَ الْأَسْفَلِينَ، وَكُلَّمَا عَمِلَ طَاعَةً اِرْتَفَعَ بِهَا دَرَجَةً، وَلَا يَزَالُ فِي اِرْتِفَاعٍ حَتَّى يَكُونَ مِنَ الْأَعْلَى.

﴿٣٤﴾ وَقَدْ يَجْتَمِعُ لِلْعَبْدِ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ الصُّعُودُ مِنْ وَجْهِ، وَالتُّزُولُ مِنْ وَجْهِ، وَأَيُّهُمَا كَانَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ كَانَ مِنْ أَهْلِهِ، فَلَيْسَ مِنْ صَعِدَ مِائَةَ دَرَجَةٍ وَنَزَلَ دَرَجَةً وَاحِدَةً، كَمَنْ كَانَ بِالْعَكْسِ.

﴿٣٥﴾ وَلَكِنْ يَعْزُضُ هَاهُنَا لِلنُّفُوسِ غَلَطٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ أَنَّ الْعَبْدَ قَدْ يَنْزِلُ نُزُولًا بَعِيدًا أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَمِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَلَا يَبْقَى صُعُودُهُ أَلْفَ دَرَجَةٍ بِهَذَا النُّزُولِ الْوَاحِدِ، كَمَا فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَلَا يَرْضَاهُ، لَا يَلْتَفِتُ بِأَلْهِ وَقَلْبُهُ لِعَظَمِهَا، وَلَا يَتَفَكَّرُ فِي عَاقِبَتِهَا، وَلَا يَظُنُّ أَنَّهَا تُؤَثِّرُ شَيْئًا، وَلَكِنَّهَا عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمَةٌ فِي فُجْحِهَا، فَيَهْوِي بِهَا - أَي: يَنْزِلُ وَيَسْقُطُ

بِسَبَبِهَا - فِي دَرَكَاتِ جَهَنَّمَ. الدرر السنية

❏ فَأَيُّ صُغُودٍ يُوزَنُ هَذِهِ التَّرْتِيزَةُ؟ وَالتُّزُولُ أَمْرٌ لَازِمٌ لِلْإِنْسَانِ، وَلَكِنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ نُزُولُهُ إِلَى عَقْلِهِ، فَهَذَا مَتَى اسْتَيْقَظَ مِنْ عَقْلِهِ عَادَ إِلَى دَرَجَتِهِ، أَوْ إِلَى أَرْفَعَ مِنْهَا بِحَسَبِ يَقْظَتِهِ.

❏ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ نُزُولُهُ إِلَى مُبَاحٍ لَا يَنْوِي بِهِ الاسْتِعَانَةَ عَلَى الطَّاعَةِ، فَهَذَا مَتَى رَجَعَ إِلَى الطَّاعَةِ فَقَدْ يَعُودُ إِلَى دَرَجَتِهِ، وَقَدْ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا، وَقَدْ يَرْتَفِعُ عَنْهَا، فَإِنَّهُ قَدْ يَعُودُ أَعْلَى هِمَّةً مِمَّا كَانَ، وَقَدْ يَكُونُ أضعفَ هِمَّةً، وَقَدْ تَعُودُ هِمَّتُهُ كَمَا كَانَتْ.

❏ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ نُزُولُهُ إِلَى مَعْصِيَةٍ، إِمَّا صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ، فَهَذَا يَخْتِاجُ فِي عَوْدِهِ إِلَى دَرَجَتِهِ إِلَى تَوْبَةٍ نَصُوحٍ، وَإِنَابَةٍ صَادِقَةٍ.

❏ وَاخْتَلَفَ النَّاسُ هَلْ يَعُودُ بَعْدَ التَّوْبَةِ إِلَى دَرَجَتِهِ الَّتِي كَانَ فِيهَا، بِنَاءً عَلَى أَنَّ التَّوْبَةَ تَمْحُو أَثَرَ الدَّنْبِ، وَتَجْعَلُ وَجُودَهُ كَعَدَمِهِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ، أَوْ لَا يَعُودُ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ التَّوْبَةَ تَأْثِيرُهَا فِي إِسْقَاطِ الْعُقُوبَةِ، وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الَّتِي فَاتَتْهُ فَإِنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا.

❏ قَالُوا: وَتَقْرِيرُ ذَلِكَ: أَنَّهُ كَانَ مُسْتَعِدًّا بِاشْتِعَالِهِ بِالطَّاعَةِ فِي الزَّمَنِ الَّذِي عَصَى فِيهِ لِصُغُودِ آخَرَ وَارْتِفَاعِ تَحْمِلِهِ أَعْمَالَهُ السَّالِفَةَ، بِمَنْزِلَةِ كَسْبِ الرَّجُلِ كُلِّ يَوْمٍ بِحُمْلَةِ مَالِهِ الَّذِي يَمْلِكُهُ، وَكُلَّمَا تَضَاعَفَ الْمَالُ تَضَاعَفَ الرِّبْحُ، فَقَدْ رَاحَ عَلَيْهِ فِي زَمَنِ الْمَعْصِيَةِ ارْتِفَاعٌ وَرِبْحٌ تَحْمِلُهُ أَعْمَالُهُ، فَإِذَا اسْتَأْنَفَ الْعَمَلَ اسْتَأْنَفَ صُغُودًا مِنْ نُزُولٍ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ صَاعِدًا مِنْ أَسْفَلٍ إِلَى أَعْلَى، وَبَيْنَهُمَا بَوْنٌ عَظِيمٌ.

❏ قَالُوا: وَمَثَلُ ذَلِكَ رَجُلَانِ يَرْتَقِيَانِ فِي سُلَمَيْنِ لَا نَهَابَةَ لَهُمَا، وَهُمَا سَوَاءٌ، فَنَزَلَ أَحَدُهُمَا إِلَى أَسْفَلٍ، وَلَوْ دَرَجَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ الصُّغُودَ، فَإِنَّ الَّذِي لَمْ يَنْزِلْ يَعْلُو عَلَيْهِ وَلَا بُدَّ.

❏ وَحَكَمَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ حُكْمًا مَقْبُولًا فَقَالَ: التَّحْقِيقُ أَنَّ مِنَ التَّائِبِينَ مَنْ يَعُودُ إِلَى أَرْفَعٍ مِنْ دَرَجَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعُودُ إِلَى مِثْلِ دَرَجَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَى دَرَجَتِهِ.

❏ قُلْتُ: وَهَذَا بِحَسَبِ قُوَّةِ التَّوْبَةِ وَكَمَالِهَا، وَمَا أَحَدَتْهُ الْمَعْصِيَةُ لِلْعَبْدِ مِنَ الذَّلِّ وَالْحُضُوعِ وَالْإِنَابَةِ، وَالْحَذَرِ وَالْحَوْفِ مِنَ اللَّهِ، وَالْبُكَاءِ مِنْ حَشْيَةِ اللَّهِ، فَقَدْ تَقَوَى هَذِهِ الْأُمُورَ، حَتَّى يَعُودَ التَّائِبُ إِلَى أَرْفَعٍ مِنْ دَرَجَتِهِ، وَيَصِيرَ بَعْدَ التَّوْبَةِ خَيْرًا مِنْهُ قَبْلَ الْخَطِيئَةِ، فَهَذَا قَدْ تَكُونُ الْخَطِيئَةُ فِي حَقِّهِ رَحْمَةً، فَإِنَّهَا نَفَتْ عَنْهُ دَاءَ الْعُجْبِ، وَخَلَّصَتْهُ مِنْ نَفْتِهِ بِنَفْسِهِ وَإِذْلَالِهِ بِأَعْمَالِهِ، وَوَضَعَتْ حَدَّ ضِرَاعَتِهِ وَذُلَّهُ وَانْكِسَارَهُ عَلَى عَتَبَةِ بَابِ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ، وَعَرَفَتْهُ قَدْرَهُ، وَأَشْهَدَتْهُ فَقْرَهُ وَضُرُورَتَهُ إِلَى حِفْظِ مَوْلَاهُ لَهُ، وَإِلَى عَفْوِهِ عَنْهُ وَمَعْفُورَتِهِ لَهُ، وَأَخْرَجَتْ مِنْ قَلْبِهِ صَوْلَةَ الطَّاعَةِ، وَكَسَرَتْ أَنْفَهُ مِنْ أَنْ يَشْمَخَ بِهَا أَوْ يَتَكَبَّرَ بِهَا، أَوْ يَرَى نَفْسَهُ بِهَا خَيْرًا مِنْ غَيْرِهِ، وَأَوْقَفَتْهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ مَوْقِفَ الْخَطَّائِينَ الْمُنْدَنِينَ، نَاكِسِ الرُّؤْسِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ، مُسْتَسْجِعًا خَائِفًا مِنْهُ وَجَلًّا،

مُحْتَقِرًا لِطَاعَتِهِ مُسْتَعْظِمًا لِمَعْصِيَتِهِ، عَرَفَ نَفْسَهُ بِالتَّقْصِ وَالذَّمِّ. وَرُبُّهُ مُتَفَرِّدٌ بِالْكَمَالِ وَالْحَمْدِ وَالْوَفَاءِ كَمَا قِيلَ:

اسْتَأْتَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْحَمِّ ... دِ وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا

﴿٣٤﴾ فَأَيُّ نِعْمَةٍ وَصَلَتْ مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِ اسْتَكْبَرَهَا عَلَى نَفْسِهِ وَرَأَى نَفْسَهُ دُونَهَا وَمَ يَرَهَا أَهْلًا، وَأَيُّ نِقْمَةٍ أَوْ بَلِيَّةٍ وَصَلَتْ إِلَيْهِ رَأَى نَفْسَهُ أَهْلًا لِمَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا، وَرَأَى مَوْلَاهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، إِذْ لَمْ يُعَاقِبْهُ عَلَى قَدْرِ جُرْمِهِ وَلَا شَطْرِهِ، وَلَا أَذَى جُزْءٍ مِنْهُ.

﴿٣٥﴾ فَإِنَّ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ لَا تَحْمِلُهُ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ، فَضْلًا عَنْ هَذَا الْعَبْدِ الضَّعِيفِ الْعَاجِزِ، فَإِنَّ الدُّنْبَ وَإِنْ صَغُرَ، فَإِنَّ مُقَابَلَةَ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا شَيْءَ أَعْظَمَ مِنْهُ، الْكَبِيرِ الَّذِي لَا شَيْءَ أَكْبَرُ مِنْهُ، الْجَلِيلِ الَّذِي لَا أَجَلَ مِنْهُ وَلَا أَجْمَلَ، الْمُنْعِمِ بِجَمِيعِ أَصْنَافِ النِّعَمِ دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا - مِنْ أَفْحِجِ الْأُمُورِ وَأَفْطَعَهَا وَأَشْنَعَهَا، فَإِنَّ مُقَابَلَةَ الْعُظَمَاءِ وَالْأَجْلَاءِ وَسَادَاتِ النَّاسِ بِمِثْلِ ذَلِكَ يَسْتَفْهِحُهُ كُلُّ أَحَدٍ مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ. وَأَزْدَلُ النَّاسِ وَأَسْفَطُهُمْ مُرُوءَةٌ مَنْ قَابَلَهُمْ بِالرَّذَائِلِ، فَكَيْفَ بَعْضِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَلِكِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَإِلَهُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ وَلَوْلَا أَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ، وَمَغْفِرَتُهُ سَبَقَتْ عُقُوبَتَهُ، وَإِلَّا لَتَدَكَّدَكَتِ الْأَرْضُ بِمَنْ قَابَلَهُ بِمَا لَا يَلِيْقُ مُقَابَلَتَهُ بِهِ، وَلَوْلَا حِلْمُهُ وَمَغْفِرَتُهُ لَزُلْزِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مِنْ مَعَاصِي الْعِبَادِ، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [سُورَةُ فَاطِرٍ: ٤١].

﴿٣٦﴾ فَتَأْمَلْ حَتْمَ هَذِهِ الْآيَةِ بِاسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ، وَهُمَا: " الْحَلِيمُ، وَالْغَفُورُ " كَيْفَ يَجِدُ تَحْتَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَوْلَا حِلْمُهُ عَنِ الْجُنَاةِ وَمَغْفِرَتُهُ لِلْعُصَاةِ لَمَا اسْتَقَرَّتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ وَقَدْ أَحْبَبَ سُبْحَانَهُ عَنْ كُفْرٍ بَعْضِ عِبَادِهِ أَنَّهُ: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا} [سُورَةُ مَرْيَمَ: ٩٠].

﴿٣٧﴾ وَقَدْ أَخْرَجَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْأَبَوَيْنِ مِنَ الْجَنَّةِ بِذَنْبٍ وَاحِدٍ اِزْتِكَابَهُ وَخَالَفًا فِيهِ نَهْيَهُ، وَلَعَنَ إِبْلِيسَ وَطَرَدَهُ وَأَخْرَجَهُ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِذَنْبٍ وَاحِدٍ اِزْتِكَابَهُ وَخَالَفَ فِيهِ أَمْرَهُ، وَنَحْنُ مَعَاشِرُ الْحَمَقَى كَمَا قِيلَ:

نَصِلُ الدُّنُوبَ إِلَى الدُّنُوبِ وَنَرْجِي ... دَرَجَ الْجِنَانِ لِذِي التَّعِيمِ الْحَالِدِ

وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَخْرَجَ الْأَبَوَيْنِ مِنْ ... مَلَكُوتِهِ الْأَعْلَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ

﴿٣٤﴾ وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْعَبْدَ قَدْ يَكُونُ بَعْدَ التَّوْبَةِ خَيْرًا مِمَّا كَانَ قَبْلَ الْخَطِيئَةِ وَأَرْفَعَ دَرَجَةً، وَقَدْ تُضْعَفُ الْخَطِيئَةُ هَيْئَةً وَتُوَهَّنُ عَزْمُهُ، وَتَمْرُضُ قَلْبُهُ، فَلَا يَفُوقُ دَوَاءَ التَّوْبَةِ عَلَى إِعَادَتِهِ إِلَى الصِّحَّةِ الْأُولَى، فَلَا يَعُودُ إِلَى دَرَجَتِهِ، وَقَدْ يَزُولُ الْمَرَضُ بِحَيْثُ تَعُودُ الصِّحَّةُ كَمَا كَانَتْ وَيَعُودُ إِلَى مِثْلِ عَمَلِهِ، فَيَعُودُ إِلَى دَرَجَتِهِ.

﴿٣٥﴾ هَذَا كُلُّهُ إِذَا كَانَ نُزُولُهُ إِلَى مَعْصِيَةٍ، فَإِنْ كَانَ نُزُولُهُ إِلَى أَمْرٍ يَفْدَحُ فِي أَصْلِ إِيْمَانِهِ، مِثْلَ الشُّكُوكِ وَالرَّيْبِ وَالنَّفَاقِ، فَذَلِكَ نُزُولٌ لَا يُرْجَى لِصَاحِبِهِ صُعُودٌ إِلَّا بِتَجْدِيدِ إِسْلَامِهِ.

### ﴿٣٦﴾ [فصل المَعاصي تُجْرِي عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْدَاءَهُ]

﴿٣٦﴾ وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُجْرِي عَلَى الْعَبْدِ مَا لَمْ يَكُنْ يَجْتَرِي عَلَيْهِ مِنْ أَصْنَافِ الْمُخْلُوقَاتِ، فَتَجْتَرِي عَلَيْهِ الشَّيَاطِينُ بِالْأَذَى وَالْإِعْوَاءِ وَالْوَسْوَاسَةِ وَالتَّخْوِيفِ وَالتَّخْزِينِ، وَإِنْسَائِهِ مَا بِهِ مَصْلَحَتُهُ فِي ذِكْرِهِ، وَمَصْرُئُهُ فِي نِسْيَانِهِ، فَتَجْتَرِي عَلَيْهِ الشَّيَاطِينُ حَتَّى تُوَزَّهَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ أَزًّا.

﴿٣٧﴾ وَتَجْتَرِي عَلَيْهِ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ بِمَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَذَى فِي غَيْبَتِهِ وَحُضُورِهِ، وَيَجْتَرِي عَلَيْهِ أَهْلُهُ وَخَدَمُهُ وَأَوْلَادُهُ وَجِيرَانُهُ حَتَّى الْحَيَوَانَ الْبَهِيمِ.

﴿٣٨﴾ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنِّي لَأَعْصِي اللَّهَ فَأَعْرِفُ ذَلِكَ فِي خُلُقِ امْرَأَتِي وَدَابَّتِي.

﴿٣٩﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَرِي عَلَيْهِ أَوْلِيَاءُ الْأَمْرِ بِالْعُقُوبَةِ الَّتِي إِنْ عَدَلُوا فِيهَا أَقَامُوا عَلَيْهِ حُدُودَ اللَّهِ، وَتَجْتَرِي عَلَيْهِ نَفْسُهُ فَتَتَأَسَّدُ عَلَيْهِ وَتَضَعُبُ عَلَيْهِ، فَلَوْ أَرَادَهَا لِحَيْرٍ لَمْ تُطَاوِعْهُ وَلَمْ تَنْقُدْ لَهُ، وَتَسْوِفُهُ إِلَى مَا فِيهِ هَالِكُهُ، شَاءَ أَمْ أَبِي.

﴿٤٠﴾ وَذَلِكَ لِأَنَّ الطَّاعَةَ حِصْنُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ مِنَ الْأَمِينِينَ، فَإِذَا فَارَقَ الْحِصْنَ اجْتَرَأَ عَلَيْهِ فُطَاعُ الطَّرِيقِ وَعَغِيرُهُمْ، وَعَلَى حَسَبِ اجْتِرَائِهِ عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ يَكُونُ اجْتِرَاءُ هَذِهِ الْأَقَاتِ وَالنُّفُوسِ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ يُرُدُّ عَنْهُ. فَإِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ وَالصَّدَقَةَ وَإِرْشَادَ الْجَاهِلِ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ - وَقَايَةَ تَرُدُّ عَنِ الْعَبْدِ، بِمَنْزِلَةِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَرُدُّ الْمَرَضَ وَتُقَاوِمُهُ، فَإِذَا سَقَطَتِ الْقُوَّةُ غَلَبَ وَارِدُ الْمَرَضِ فَكَانَ الْهَالِكُ، فَلَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْ شَيْءٍ يُرُدُّ عَنْهُ، فَإِنَّ مُوجِبَ السَّيِّئَاتِ وَالْحَسَنَاتِ تَتَدَاوَعُ وَيَكُونُ الْحُكْمُ لِلْغَالِبِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَكُلَّمَا قَوِيَ جَانِبُ الْحَسَنَاتِ كَانَ الرَّدُّ أَقْوَى كَمَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا، وَالْإِيْمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، فَبِحَسَبِ قُوَّةِ الْإِيْمَانِ يَكُونُ الدَّفْعُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.